



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 21 (1985), p. 1-17

Muḥammad Naṣr Muḥannā

التذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن حمدون - دراسة وتحقيق وتعليق
li-Mūḥammad ibn al-Ḥasan ibn Ḥamdūn - dirasa wa taḥqīq wa ta'liq.

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724707779	<i>Adaïma IV</i>	Mathilde Minotti
9782724707885	<i>Wa??'iq mu?a??a??t al-?aramayn al-šar?fayn bi-si?ill?t al-D?w?n al-??l?</i>	Jehan Omran
9782724708288	<i>BIFAO 121</i>	
9782724708424	<i>Bulletin archéologique des Écoles françaises à l'étranger (BAEFE)</i>	
9782724707878	<i>Questionner le sphinx</i>	Philippe Collombert (éd.), Laurent Coulon (éd.), Ivan Guerneur (éd.), Christophe Thiers (éd.)
9782724708295	<i>Bulletin de liaison de la céramique égyptienne 30</i>	Sylvie Marchand (éd.)
9782724708356	<i>Dendara. La Porte d'Horus</i>	Sylvie Cauville
9782724707953	<i>Dendara. La Porte d'Horus</i>	Sylvie Cauville

- الأمدى سيف الدين أبو الحسن : ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م . كتاب الأحكام فى أصول الاحكام . مخطوط .
- سبط ابن الجوزى : ٦٥٤ - صاحب مرآة الزمان . له كتاب كنز الملوك فى كيفية السلوك .
- ابن أبى الربيع : شهاب الدين أحمد بن محمد . (منتصف القرن السابع الهجرى) . له كتاب سلوك المالك فى تدبير الممالك . كتبه للخليفة المستعصم (مطبوع) .
- ابن الطقطي : (ابن طباطبا) . الفخرى فى الآداب السلطانية . مؤلف مجهول (ماليك) . المملوك - قنصوه الغورى .
- محمد بن أبى بكر بن أبى طالب الأنصارى : الفراسة فى علم السياسة .

المصادر والمراجع

- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي أكرم . الكامل في التاريخ - المجلد الحادى عشر . دار صادر - بيروت ١٩٦٦ .
- ابن الجوزى : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم .
- ابن تغرى بردى : أبو المحاسن يوسف الأتابكى . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . مطبعة دار الكتب ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م .
- ابن خلفان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تحقيق د. احسان عباس ٨ أجزاء . دار صادر - بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- ابن شاکر الكتبى : فوات الوفيات . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . جزءان - القاهرة ١٩٥٥ م .
- العماد الكاتب : الاصفهاني أبو حامد بن آله . جريدة النصر وجريدة أهل العصر . شعراء العراق - تحقيق بهجت الأترى . جزءان - بغداد ١٩٥٥ - ١٩٦٤ م .
- العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٤ . مكتبة القدس - القاهرة ١٣٥٠ هـ . الصفدى : الوافى بالوفيات .
- الماوردى : الإمام الفقيه . أدب الدنيا والدين . مخطوط .
- الطوسى : نظام الملك ٤٨٥ هـ . صاحب كتاب سياسة تامة .
- الإمام أبو حامد الغزالي : ٥٥٥ هـ / ١١١١ م . التبر المسبوك في نصيحة الملوك . مخطوط .
- الطرطوشى : أبو بكر محمد بن الوليد ٥٢٠ هـ . صاحب كتاب سراج الملوك . (طبع ؟) .
- عبد الرحمن بن نصر الشيزرى : ٥٨٩ هـ . المنهج المسلوك في سياسة الملوك . مخطوط . دار الكتب المصرية . أدب ٢٩٢٧ مطبوع .
- ابن الجوزى : الإمام أبو الفرج صاحب المنتظم ٥٩٧ هـ . حسن السلوك الى مواعظ الملوك . مخطوط أيا صوفيا ٤٨٢٥ . نموطا . ١٨٨٠ والمتحف البريطانى ؟ .
- الأسعد بن يمانى : صاحب قوانين الدواوين له ٦٠٦ هـ . كتاب ٦٠٦ هـ - حجة الحق على الخلق فى التخدير . من عاقبة الظلم وبيان حسن السياسة وآه القاضى الفاضل وطالعه صلاح الدين .
- ابن ظافر الأسدى : ٦١٣ هـ . كتاب أساس السياسة .
- ابن حمويه الجوينى : ٦٤٢ هـ . كتاب السياسة الملوكية .
- ابن الحداد بن حبيش الواعظ : له كتاب فى السياسة بعنوان النفيس فى سياسة الرئيس . نسخة المؤلف بخطه ما تزال محفوظة فى أيا صوفيا برقم ٤٨٢٤ . وقد ذكره الصفدى فى الوافى بالوفيات هـ ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

له خداعة فقد يسترسل الانسان في بعض الأشياء وهو يظن أنه متحفظ ليظفر بمطلوبه فيعود إليه ذلك الاسترسال بأعظم الوبال ويضمحل ذلك التحفظ كأنه لم يخطر ببال واجمع في سياستك بين حذار لا حدة فيه وريب لا غفلة معه واخرج كل شيء بشكله حتى تزداد قوة وعزا .

طلب أهل يونان رجلا يصلح للملك بعد ملك لهم فذكر رجلا فقال فيلسوف لهم : هذا الرجل لا يصلح للملك . قالوا لِمَ ؟ قال : لأنه كثير الخصومة وليس يخلو في خصومته أن يكن ظلما أو مظلوما فان كان ظلما لم يصلح للملك لظلمه وإن كان مظلوما لم يصلح لضعفه . قالوا : صدقت فأنت أولى بالملك منه فلكوه . وكان المنصور يقول : الخلفاء أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، على ما قال عثمان ، وما قيل منهم أعظم ولنعم الرجل عمر بن عبد العزيز والملوك الأربعة وكفاة زياد وعبد الملك وكفاة حجابيه وهشام وكفاة مواليه ولا كافي لي . . .

كان رجل من العرب في الجاهلية اذا رأى رجلا يظلم ويعتدى ويقول فلان لا يموت سويا فيرون ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه سويا فقبل له مات فلان سويا فلم يقبل حتى تتابعت الأخبار فقال : ان كنتم صادقين دارا غير هذه تجازون فيها قال زياد : ما غلبني معاوية بشيء من أمر السياسة إلا بشيء واحد ، قيل : ما هو ؟ قال : ولت رجلا وسيمسان فكسر على الخراج وهرب فلحق بمعاوية فكتبت إليه أسأله بسياسة واحدة أن نشد عليهم جميعا فيخرجوهم أو نلين لهم فتخرجهم ولكن أنت تلبي الفظاظ والغلظة وإلى أنا الرأفة والرحمة فاذا هرب هارب من باب وجد بابا يدخل فيه ولقد نظر معاوية لنفسه فاختار أخص السياستين واجتمع الى الناس .

أما الفصل السادس فيتعرض لنوادير تتعلق بهذا الباب مع بعده عنها وعلى قلتها فيه .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنفقة يكثر المواصلون لك وبالأفضال تنظم الأقدار وبالتواضع تتم النعمة وباحتمال الموت يكون السوءدد وبالسيرة العادلة يقهر المساوعى وبال حلم عن السفيه يكثر الانصار عليه .

عن علي بن أبي طالب عليه السلام وسل^(١) الحسن عن العاقل فقال : العاقل من اتقى الله تعالى وتمسك بطاعته قال له فهابه قال تلك الشيطان تلك الفرعنة ثم قال : ذلك شبيه بالعقل . وسمع سفيان الثوري رجلا في مجلسه يقول كان معاوية عاقلا فقال العقل لزوم الحق وقول الصدق وقيل لعلي عليه السلام صف لنا العاقل فقال يضع الشيء موضعه .

وقال عمرو بن العاص لمعاوية : من أجيد الناس قال : من كان رأيه رادا لهواه .

ومن كلام الحكماء : المكاتب على الملك رفع الحجاب عنه وأصدق الحديث واجتهد النصيحة واحترس بالخير فان لك على ألا أعجل بك حتى استباني لك ولا أقبل عليك قولاً حتى أستيقن ولا أطمع فيك فيقتال ولا تدعى أن يرفع الى الصغير فانه يدل على الكبير . . واحكم لسانك . ولا تلبس كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى عن معنى وللكتاب آداب تخصهم ليس هذا موضعها ومكانهم من العلوم والسياسة وحسن التدبير وأصالة الرأي ووضع الأشياء مواضعها .

وحدث الأحنف بن قيس ان كان صحيحاً أو مصنوعاً ففيه أدب وسياسة لجمهور الناس في مقاصدهم وأفعالهم وتصرفاتهم ، قيل دخل الأحنف على معاوية فذكر أهل العراق وحسن آرائهم وميسون بذت بهول الكلبية أم يزيد تسمع كلامه ، فلما انصرف قالت يا أمير المؤمنين أحيب أن تأذن لقوم من أهل العراق وتجعلني بحيث أسمع كلامهم فقال لاذنه انظر من الباب فقال بنو تميم فقال : ادخلوا وفيهم الأحنف فقال معاوية أقرب أبا بحر وضربت لميسون فيه بحيث تسمع كلامهم . . . ثم قال له معاوية لقد أحسنت الجواب فسلني حاجتك قال حاجتي يا أمير المؤمنين أن تتقي الله في الرعية وتعديل بينهم بالسوية ثم نهض فلما ولى قالت ميسون لو لم يكن بالعراق الا هذا لكفاهم . قال أفلاطون : ينبغي للذين يأخذون على أيدي الأحداث أن يضعوا لهم موضعاً للعدل شرعه العدل .

قيل من كتم السلطان نصيحته والأطباء مرضه الاخوان بته^(٢) ، فقد خان نفسه . وقال صاحب كليلة ودمته : خير الاخوان أشدهم مبالغة في النصيحة وخير الأعمال أجلها عاقبة وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار وخير الأصدقاء من لا ينافق وخير الأخلاق أعونها على الورع وأفضل السلطان ما لم يخالطه بطر وأغبي الأغبياء من لم يكن للحرص أسيراً وأعجز الملوك أخذهم بالهويناء وأقلهم نظراً في العواقب .

(١) هكذا الأصل . - (٢) هكذا الأصل .

وقد قال من قبلنا : أسوس الناس من قاد أبدان الرعية الى طاعته بقلوبها .

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه : أبتى ما لسياسة ؟ : هيبه الخاصة مع صدق مؤتمها ، والانصاف لها واحتمال هفوات الصنايع .

وقال صاحب كليله ودمنه : اذا عرف الملك أن رجلا يساوى به فى المنزلة والرأى والهمة والمال والتبعة فليصرعه فان لم يصرعه فهو المصروع قبل فصار السلطان من قبل ستة أشياء :

(١) الحرمان (٢) اللهو (٣) الزمان (٤) الفتنة (٥) الغضاضة (٦) الخزق

الفصل الثالث : سياسة الوزراء والكتاب وأتباع السلطان فى خدمة ولاتهم وآداب نفوسهم قالوا : عن صحب السلطان (الملوك) وقرب منهم ينبغى أن يكون جامعا للخلال المحمودة فأولها العقل فانه رأس الفضائل ، والعلم فانه ثمار العقل ولا يليق صحبة الملوك بأهل الجهل ، والود فانه خلق من أخلاق النفس يولده العدل فى الانسان لزوى وده ، والنصيحة هى تابعة للود وهو الذى يبعث عليها ، والوفاء فانه من شيمه لا تتم الصحبة إلا بها ، وحفظ السر وهو من صدق الوفاء والعفة عن الشهوات والأموال ، والصرامة وهى شدة القلب ، فان الملوك لا يجوز أن يصحبهم أولوا النكول ولا ينال الحسم من الأمور الا الشجاع النجد ، والصدق فانه من صدق لا يكذب ، ومضرة الكذب لا يتلاقى وحسن الرأى والهمة فان ذلك يزيد فى بهاء الملوك والبشر فى اللقاء فانه يتألف به قلب من يلاقيه وفى الكاوم تنفير عن غير ريبة والأمانة فيما يستحفظ ورعاية الحق فيما يستودع والعدل والانصاف فان العدل يصلح السراير ويحمل الظواهر به يخاصم الانسان نفسه اذا دعته الى أمر لا يحسن بركوبه وينبغى له أن يجانب أضواء هذه الخلال .

قال أحمد بن أبى خالد للمأمون لما هم أن يستوزره : اجعل بينى وبين العامة منزلة يرجوها الصديق ويخافها العدو فما بعد الغابات إلا الآفات .

الفصل الرابع : الآداب والسياسة التى تصلح للجمهور . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعد عالما أو متعلما أو مجيبا أو سائلا لكن الخامس متهلك .

على الرعيه وحق الرعية على الوالى فريضة فرضها الله تعالى على كل فجعلها نظاما لألفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية فاذا أدت الرعية الى الوالى حقه وأدى إليها حقها عن الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم الدين فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويبست مطامع الأعداء وإذا غلبت الرعية واليهما وأجحف الوالى برعيته اختلف هنا لك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثرت الاحوال عن الدين وتركت فجاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الاحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظم حق عطل ولا لعظيم باطل فهناك تذلل الابرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك أحسن التعاون عليه يقال أن جمشيد^(١) وهو ثالث ملوك الفرس ملك الأقاليم وصنف الناس (وطبعمهم) وعمل أربع خواتم :

- (١) خاتما للحرب والشرطة : كتب عليه الاناه .
- (٢) خاتما لجباية الخراج والأموال : وكتب عليه العماره .
- (٣) خاتما للبريد : وكتب عليه الوجاهه .
- (٤) خاتما للمظالم : وكتب عليه العدل .

فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس الى أن جاء الاسلام . قال صاحب كلىة ودمنه : رأس الحزم للملك معرفته بأصحابه وانزالهم منازلهم (٣) ومقام بعضهم على بعض ان وجد بعضهم الى اهلاك بعضهم سبيلا (٤) أو الى تهجين بلاء المبتلين واحسان المحسنين ، (٥) والتغطية على اساءة المسيئين سارعوا الى ذلك واستمالوا محاسن أمور المملكة ، وهجنوا مخارج رأيه ولم يبرح منهم حاسد قد أفسد ناصحا ، وكاذب قد اتهم أمينا محتال بريئا .

وليس ينبغي للملك أن يفسد أهل الثقة في نفسه بغير أمر يعرفه بل له فضل حلمه وبسط علمه الحيطه على رأيهم فيهم والحاماة على حرمتهم ودمائهم وألا يسرع الى افسادهم ولا يعتمد مع ذلك في زلة ان زلها أحد منهم ولم يزل جهال الناس يحسرون علماءهم وجبناؤهم شجعاءهم ولثامهم كرامهم وفجارهم أبرارهم أشرارهم أخيارهم .

كتب أرسطاطاليس الى الاسكندر : املك الرعية بالاحسان اليها تظفر بالحبية منها فان طلبك ذلك باحسانك ادوم بقاء منه لاعتسافك ، واعلم أنك انما تمتلك الأبدان وان الرعية اذا قدرت أن تقول قدرت على أن تفعل فاجتهد ألا تقول تسلم من أن تفعل .

(١) هكذا الأصل .

الأخرى فلو تناولها بالعدل انقطعت الحصومات ولكنهم يتناولونها بالجرور ومتابعة الشهوات ومحبة الاستئثار فتولدت بينهم المنازعات فاحتاجوا الى سلطان يضبط أمورهم ولولا ردع السلطان لغلب قويمهم ضعيفهم ولم يكن دافع عن قبل ولا وازع من غضب . وقد قال أردشير : الدين والملك توأمان والدين أصل والملك حارس وما لا أصل له فهدوم وما لا حارس له فضائع ودلت الشرائع والعقول على وجوب ملك يفتدى به في كل زمان وأوان وما رأينا مثله ولا دولة خلت من ذلك حتى العرب ساكني البيد والقفاز الجايلين مع الوحوش في الفلوات فانهم لماله^(١) يجمعهم مكان ولا نظم شملهم سلطان جعلت كل فرقة منهم لها سيذا من فضلأها وذوى آرائها يرجعون اليه في حروبهم ويأتمرون بأمره وينزجرون بزجره وكانت لهم أيضا ملوك أكثرهم لهم مطيعون . وكذلك قال حكيم من شعرائهم :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وعلى حسب أخلاق السلطان يكون الزمان . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان في الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس العلماء والأمرأء . وقالت الحكماء : الملوك ثلاثة : ملك دين ، وملك حزم ، وملك هوى . أما ملك الدين فاذا أقام للرعية دينهم فكان هو الذى يعطيهم ما لهم ويلحق بهم ما عليه أرضاهم بذلك وأنزل الساخط منهم بمنزلة الراضى فى التسليم والاقرار ، وأما ملك الحزم فانه لا يقوى على الأمر ولا يسلم من الطعن ولن يصير طعن الدليل مع حزم القوى ، ولا ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر وقالوا الملك يحتاج من الناس الى كثير منهم وهم يحتاجون منه الى واحد ومن ها هنا وجب أن يوازى حلمه بأحلامهم ويوازن منهم وان يعممهم بعدله ويغمرهم بفضله ويكيفهم كافة الجنون لفصولها والكفاين لسهامها . وقال على بن أبى طالب عليه السلام : من نصب نفسه للناس إماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره . وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومؤدبها أحق بالأخلاق من معلم الناس ومؤدبهم ومن كلام على عليه السلام يذكر فيه حق الولاية والرعية بعضهم على بعض أما بعد فقد جعل الله لى عليكم حقا بولاية أمركم ولكم لى من الحق مثل الذى عليكم والحق الأشياء فى التواصف وأضيقها فى التناصف لا يجرى لأحد للاجرى عليه . ولا يجرى عليه إلا جرى له ولو كان لأحد أن يجرى له وما لا يجرى عليه لكان ذلك خالصا لله دون خلقه بقدرته على عبادته ولعدله فى كلى جريت عليه صرف قضائه ولكن جعل حقه من العباد أن يطيعوه وجعل جزاءه عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد أهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها فى وجوهها وموجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضهم إلا ببعض وأعظم ما افترض من تلك الحقوق حق الوالى

(١) هكذا الأصل .

ومن أروع ما ناقشه هذا الفصل من أقوال قول الحارث بن أبي مشمر الغساني وتروى لعمر ابن معدى : اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع ، ويرجع أيضا الى كلام ارسطاطاليس ليس اذا كانت الشهوة فوق القدرة ، وكان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . وقال المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فأن تجد ذا عفة فعمله لا يظلم

وقول رجل من بني قريع :

ما يرى الناس الغنى وجاره فقير يقولوا عاقر وجليل

* *

وليس الغنى والفقير من حيلة الغنى
اذا المرء أعيته المروعة ناشئا
وكس رأينا من غنى مزوم
ولكن احاظ قسمت وجدود
فمطلبها عليه شديد
وصعلوك قوم مات وهو حميد

وقول آخر :

وانك لا تدري اذا جاءك سائل
وفي كثرة الأيدي عن الجهل زاجر
أنت ما تعطيه أم هو أسعد
والحكم أبقى للرجال وأعود

وقول أبي بكر رضى الله عنه : أشقى الناس الملوك فرأى ممن حضره استعاذ لذلك فقال عاجلون جابرون اما علمتنا أن الملك اذا ملك قصر آجله ووكلت به الروعة والحزن وكثر في عينه قليل ما في يد غيره وقل في نفسه كثير ما عنده .

الفصل الثانى : السياسة والآداب الملكية وما يجب للولاة عليهم للرعية وما يلزمهم من تقبل الأخلاق المرضية . وقالت العلماء مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا يوصل الى الدين إلا بالدنيا فانها الطريق الى الآخرة وليس ينظم أمر الدنيا إلا بأعمالهم والأعمال تختصر فى ثلاثة أقسام أحدهما أصول هى قوام العالم لا غنى للأغلب منهم عنها وهى أربعة :

الزراعة وهى المطعم ، والحياكة وهى الملبس ، والمبنى وهى المسكن والسياسة وهى التأليف والاجتماع والتعاون على بقية الأعمال وضبطها . والقسم الثانى ما يهيم هذه الصناعات ويعين عليها كالحداثة يعد بها آلات الزراعة ، والغزل يعد به محل الحياكة . والقسم الثالث : ما يتم به الأصول وترتيبها كالخيار والزراعة والحياكة وأشرف هذه الصناعات أصولها ، وأشرف أصولها السياسة اذا كانت حافظة بنظام الكل فتستدعى هذه الصناعات من الكمال ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم صاحبها ساير الصناعات . وخلق الله تعالى الدنيا زادا للعباد يتناول الناس ما يود بهم الى الدار

أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين كل حزب بما لديهم فرحون إن الله لا يحب الفرحين ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ونفسي^(١) ذلك وترتيبه يخرج الكتاب عن عظة^(٢) الموضوع له .

الفصل الأول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن » وقال على عليه السلام لكل جواد كبوة ولكل حكيم هفوة ولكل نفس ملة فاطلبوا لها طرايف الحكم ، وقال : الفكر يورث نورا والغفلة ظلمة والجهالة ضلالة . قال ابن مسعود رضى الله عنه : العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وآله انظروا الى من تحتكم ولا تنظروا الى من فوقكم . وقال صلى الله عليه وسلم جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ومن كلامه عليه السلام : كرم الرجل دينه ومروعته عقله وحسبه عمله . خير الأمور أوسطها كل ميسر لما خلق له . زر غبا تزداد حبا ، الوحدة خير من جليس السوء البركة فى الحركة . صلوا أرحامكم ولو بسلام . من كثر سواد قوم فهو منهم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . ليس الغنى كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس . ويقارب هذا المعنى قول على بن أبى طالب عليه السلام : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يعظم حلمك ويكثر عملك . وقال أبو بكر رضى الله عنه : صنائع المعروف تقي مصارع السوء . وقال على بن أبى طالب عليه السلام : استغن عن شئت فأنت نظيره ، واحتج الى من شئت فأنت أسيره ، وافضل على من شئت فأنت أميره . أخذ المعنى الأول الشاعر فقال : واذا ما الرجا أسقط بين الناس فالناس كلهم أكفا . وقال لقمان لابنه : ثلثه لا يعرفون إلا فى ثلثه ، مواطن لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا فى الحرب اذا لاقا الاقران ولا اخال إلا عند حاجتك اليه . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أحبكم الينا ان نجدكم أحسنكم سمنا فاذا تكلم فأنبتكم منطقا واذا اختبرناكم فأحسنكم فعلا ، وفى رواية أحبكم الينا اسما فاذا رأيناكم فأجملكم نخبرا . من كلام الجاحظ وينسب الى غيره : خير الدنيا والآخرة التقوى والغنى وشر الدنيا والآخرة الفقر والفجور . قال الحارث ابن أسد المحاسبى : الظالم نادم وإن مدحه الناس والمظلوم سالم وإن ذمه الناس والقانع غنى وإن جاع والحريص فقير وإن ملك . وقال يحيى بن معاذ الرازى : لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب ولا أمانته حتى يطمع فانك على أى شقية يقع .

ويستمر الفصل الأول فى مناقشة الأحاديث النبوية الشريفة والأقوال المأثورة لعلماء المسلمين وشعرائهم فى الآداب التى تهذب النفوس ويشترك فيها الحاكم والمحكوم ويناقشها المخطوط فى ستة عشر صفحة .

(١) هكذا الأصل . - (٢) هكذا الأصل .

النص مع الضبط والتحقيق :

في الآداب والسياسة الدينوية ورسوم الملوك والرعية : وهذا الباب يشتمل على بدايع الحكم وفوائد الآداب التي نطق بها العلماء والحكماء بضياء القلوب وشفاء الألباب وأصناف السياسة التي هي قوام العالم وبها انتظام مصالحهم وما يلزم منها طبقات الناس على اختلافها وتنوعها وما جاء في ذلك من تمثل الحكماء وأخبار ولاة الأمور في آدابهم وسياساتهم ومن تلاهم من أتباعهم وغيرهم وهو ستة فصول .

الفصل الأول : فيه الحكم والآداب التي نطق بها الحكماء والعلماء تهديبا للنفوس ويشترك فيها السائس والمسوس .

الفصل الثاني : فيه السياسة والآداب الملكية وما يجب عليهم من حقوق الرعية وما يلزمهم من ثقل الأخلاق المرضية .

الفصل الثالث : فيه سياسة وزر الملوك وأتباع السلطان وآدابهم على اختلافهم .

الفصل الرابع : فيه الآداب والسياسة التي تصلح للجمهور .

الفصل الخامس : أخبار في السياسة يقتدى بها وتكون مثلا لمن طلبها .

الفصل السادس : فيه نوادر تتعلق بهذا الكتاب على قلتها فيه وبعده عنها قد حوى كتاب الله سبحانه وتعالى من فنون السياسة وأقسامها ما يغني متدبره ويكفي متأمله كالكصاص الذي جعل الله لنا فيه الحياة والحدود التي عصم بها الأنفس والأموال والأعراض من شرع الحياة والزكاة العائدة بفضل الأغنياء على الفقراء منه ليجعلهم فيما أنزل عليهم من رزقه شركا وكالطاعة المفترضة على الرعية للرعاة والمعدلة الموجبة لهم على الولاة وكحقوق النساء في القسمة والتعديل على الرجال وما يلزمهن لهم من حفظ الفروج ولزوم الحجال وغير ذلك مما يخرج من هذا الكتاب ولا يليق إيراده وهو بحر الحكمة التي جعلها شفاء للأسقام والأوصاب وجملا للأفهام والألباب لا يدرك قراره ولا يحصى آثاره . فن الآيات التي فيها أدب يتبعه قوله عز وجل : يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير . وقوله عز وجل : ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا . يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم . يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا

والجزء الثاني عشر وأوله الباب الثامن والأربعون في مزح الأشراف والنوادر وينتهي بذكر السفلة وأصحاب المهن والسوقه . وهما مخطوطان بخط قديم واضح تحت رقم ١٥١٤ أدب . وكذلك توجد نسخ متفرقة في كل من :

- أ - الاسكوريال في أسبانيا .
- ب - راغب باشا .
- ج - عاشر أفندی .
- د - برلين .
- هـ - ألمانيا .
- و - باريس المكتبة الوطنية .

وتقع التذكرة في اثني عشر جزء يوجد منها في مكتبة (Topkapı) الأجزاء ١ ، ٣ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ .

وينتهي الجزء الأول من التذكرة بعبارة بخط الكاتب تقول : ويتلوه الجزء الثاني في : الشرف والرياسة وما هو من خصائصها ومعانيها لكن هذا الجزء غير موجود في مكتبة (Topkapı) كما ذكرنا سابقا .

وأما الجزء الثاني عشر من التذكرة فهي بتاريخ ٥٥٣ هـ حيث يتوقف ابن حمدون^(١) .

أما الجزء الأول من التذكرة وهو ما يعيننا في هذه الدراسة فيحمل في مقدمته الفقرة التالية : تأليف الشيخ الصدر الأجل الأجد محمد بن حمدون رحمة الله عليه برسم خزانة السلطان الأعظم مالك رقاب الأمم أبي المفاخر فخر الملة والحق والدنيا والدين سليمان بن السلطان شهاب الدين غازي الأيوبي خلد الله ملكه .

أما الأجزاء الثلاثة الأولى فقد عثر عليها بدمشق الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ووصفها مع ترجمة للمؤلف ونشرها في : (مجلة المجتمع العلمي العربي بدمشق ص ١٠ مجلد ٤) كما طبع القسم الثاني من هذه التذكرة وهو في ١١٨ صفحة في ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م .

كما توجد نسخة قيّمة في مكتبة (Topkapı) في استانبول تحت رقم (Ahmed III, 2948) وقد اطلعت عليها في استانبول في صيف عام ١٩٨١ م وصيف عام ١٩٨٢ م وخلال هذه الفترة كنت أعكف على البحث عن أصول هذه المخطوطة النفيسة حتى أتمكن من تحقيقها وإخراجها لتري النور إسهاما مع الباحثين والمهتمين بالكنوز الاسلامية الرائعة وأداء لرسالة عظيمة في عنق المهتمين بالدراسات الشرقية في إحياء المخطوطات العربية التي تعمّر بها مكتبات الدنيا في الشرق والغرب .

(١) Cl. Cahen, *Arabic Mss. in Istanbul*.

كذلك ألف أبو عبيد الله بن سلام كتاب الرياسة في السياسة ، وألف أيضا أبو زيد البلخي كتاب السياسة الكبير ، والسياسة الصغير والذي ذكره ابن النديم في الفهرست .
وكتب السرخسي كتاب السياسة وله كتاب أدب الملوك وذكره ابن النديم في الفهرست ص ١٤٩ .

أما أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم المنجم المصري في القرن الرابع الهجري . المعروف بابن الداية . فله كتاب قواعد السياسة نشره عبد الرحمن بدوي في كتابه الأصول اليونانية .
وصنف أبو عبد الله القيرواني ٤١٢ هـ في كتاب أدب السلطان والتأديب في عشر مجلدات .
والخطيب الاسكافي أبو عبد الله محمد ٤١٢ هـ صاحب كتاب « لطف التدبير في الرياسة » وهو مخطوط تحفظه مكتبة أحمد الثالث تحت رقم ٢٦٣٣ .

وللهلال الصابي أبو الحسن ٤٤٨ هـ كتاب السياسة . وصنف الماوردي الفقيه الشافعي ٤٥٠ هـ (صاحب كتاب الأحكام) كتاب سياسة الملك .

ولم يقتصر أبو الحسن بن حبيب الماوردي على الأحكام أو سياسة الملك بل أضاف أيضا الى مصنفاته كتاب أدب الدنيا والدين وهو مخطوط بمكتبة أحمد الثالث تحت رقم ٢٢٩٩ أ .

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين زاد اهتمام المفكرين المسلمين بالسياسة والحكم ظهر عدد كبير من التصانيف فيها . من ذلك كتاب سياسة نامه الذي ألفه الطوس ، وكذلك مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي ومن ذلك البر المسلوك في نصيحة الملوك وهو مخطوط نفيس في مكتبة أحمد الثالث تحت رقم ١٥١٣ أ .

وظهرت أيضا مؤلفات الطرطوس والشيزري ، كتب الأول كتاب سراج الملوك ، وألف الثاني المنهج المسلوك في سياسة الملوك .

وفي هذه الفترة ظهر صاحب التذكرة ابن حمدون ، وأسهم مع الكتاب المسلمين في تعميق الفكر السياسي الاسلامي ، وأضاف الى النظرية السياسية الاسلامية من الواقع السياسي الذي عاشه في العصر العباسي .

التذكرة :

يوجد منها بدار الكتب المصرية الجزء الحادي عشر وأول ما فيه من الباب السابع والأربعين في أنواع السير والأخبار وعجائبها وفنون الأشعار وغرائبها .

(٣) الرأى المتين : وحصول ذلك بالبحث والنظر فى تدابير السلف وأخبارهم وتجاربهم وذلك لأن ما من أمر إلا وهو معرض لمكيدة .

(٤) المتابرة على الشدائد : وحصول ذلك وتمكنه منه باظهار الشجاعة والقوة واستعمالها ، وبذلك له أمر الملك وقهر الأعداء .

(٥) المال الجهم : وحصول ذلك له باستعمال العدل فى الرعية ودوام العمارة وبه قوام المملكة ودوامها .

(٦) الأعوان الصادقون : وحصول ذلك بالتلطف بهم ودوام الالتفاف والاكرام وبهم يشتد عضو الملك ويقوى قلبه .

وتعد التذكرة علامة هامة فى الفكر السياسى عند المسلمين وان كان من الممكن أن تعتبر تطورا لما كتبه المسلمون من قبل .

لقد اهتم الكتّاب المسلمون بالسياسة اهتماما بالغاً يظهر فى كل ما تركوه لنا من كنوز تحفل بنفائس الفكر السياسى وخلاصته تجاربهم التى استخلصوها عبر حياة الدولة الاسلامية منذ نشأتها الأولى فى المدينة .

ومن أقدم الكتب التى تعالج هذا الموضوع كتاب سهل بن هارون المتوفى عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م الذى أسماه خزانة الحكمة وقد كتبه للخليفة العباسى المأمون وسهل بن هارون هو صاحب كتاب « تدبير الملك والسياسة » ويعتبر هذا الكتاب من أقدم ما صنف فى هذا الموضوع .

كذلك كتب يوحنا البطريق ترجمان المأمون كتاب « سر الأسرار لتأسيس السياسة وتدبير الساسة » والذى حققه عبد الرحمن بدوى فى كتابه « الأصول اليونانية للنظريات السياسية الاسلامية » والذى صدر عام ١٩٦٤ م .

وكتب الفتح بن خاقان وزير المتوكل العباسى كتاب أخلاق الملوك الذى ذكره المسعودى فى كتابه مروج الذهب^(١) .

وصنف أبو الحسن على الطيب النصرانى المتوفى عام ٢٤٧ هـ كتاب الدين والدولة والذى نشر فى مانشيستر عام ١٩٢٣ م وحققه عادل نويهض فى بيروت عام ١٩٧٣ م .

وتبع هؤلاء الجاحظ حيث ألف كتاب التاج فى أخلاق الملوك ثم ابن طاهر أبو الفضل أحمد صاحب كتاب « خبر الملك العالى فى تدبير المملكة والسياسة » .

(١) مروج الذهب ص ١ - ص ١٤ .

الخليفة المستعصم الذي ارتبك في عصره الفكر السياسي الاسلامي ، وظهرت لعبة السياسة واضحة جلية في تصرفات هذا الخليفة الذي استعان بالقوى الشيعية مما أسرع في القضاء النهائي على الدولة العباسية .

ويتفق ابن حمدون مع العلماء في أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ، ولا يوصل الى الدين إلا بالدنيا فانها الطريق الى الآخرة .

كما أنه يؤكد أن أمر الدنيا لا ينتظم إلا بالأعمال ، والأعمال تختصر في ثلاثة أقسام أحدهما أصول هي قوام العالم لا غنى للأغلب منهم عنها وهي أربعة :

- ١ - الزراعة وهي أصل المطعم .
- ٢ - الحياكة وهي الملبس .
- ٣ - البناء وهي المسكن .
- ٤ - السياسة وهي التأليف والاجتماع والتعاون على بقية الأعمال وضبطها .

وهنا يتفق أيضا ابن حمدون مع من جاء بعده من المفكرين في أن هذه هي الحاجات الضرورية التي لا يستغنى عنها الانسان وهي التي أدت في النهاية الى تكوين الدولة .

والدولة في الفكر السياسي الاسلامي تقوم أساسا على أركان أربعة :

- ١ - الملك .
- ٢ - الرعية .
- ٣ - العدل .
- ٤ - التدبير .

ويرى ابن حمدون أن الملوك ثلاثة : ملك دين وملك حزم وملك هوى ، أما ملك الدين فهو الذي يقيم للرعية دينهم ويعطيهم حقوقهم ذلك أن الله اختص الملوك بكرامته ، ومكن لهم في البلاد .

وبالمقارنة فان ابن أبي الربيع يصف الملوك فيقول : إن الملك يجب أن تتوفر له ستة عناصر :

(١) الأبوة : وهو أن يكون من أهل بيت الملك ، قريب النسب ممن ملك قلبه ، وذلك سبب الاتفاق عليه .

(٢) الهمة الكبيرة : وحصول ذلك بتهديب الأخلاق النفسانية وتعديل القوة الغضبية ، وذلك لا يكاد ينال الملك إلا به .

وفي ترجمة ابن حمدون أنه توفي يوم الثلاثاء حادي عشر ذى القعدة سنة ٥٦٢ هـ ودفن بمقابر قريش ببغداد ومات في الحبس (١).

ويقول ابن الأثير في أحداث عام ٥٦٢ هـ: « وفيها توفي أبو المعالي محمد بن الحسين بن حمدون الكاتب ببغداد ، وكان على ديوان الزمام ، فقبض عليه فمات محبوساً (٢) .

وفي ترجمة ابن حمدون التي أوردها صاحب المنتظم في اختصار شديد يقول ابن الجوزي : محمد بن الحسن بن محمد بن علي أبو المعالي الكاتب كانت له فصاحة وولي ديوان الزمام مدة وصنف كتاباً أسماه التذكرة وتوفي في ذى القعدة من هذه السنة ٥٦٢ هـ ودفن بمقابر قريش (٣) .

أما صاحب الشذرات فيقول : وفيها أي في عام ٥٦٢ هـ توفي محمد بن الحسن بن حمدون صاحب التذكرة الحمدونية .

ولاه المستنجد ديوان الزمام ، ووقف المستنجد على كتابه فوجد فيه حكايات توهم غضاضة من الدولة فأخذ من دست منصبه وحبس الى أن رحي (٤) .

وقد لاقى ابن حمدون كثيراً من العنت والاضطهاد مما أثر في تجربته الفكرية وصقل كثيراً من آرائه السياسية وهو ما جعل لها مكانة في الفكر السياسي الاسلامي في العصور الوسطى .

وتتضح الآراء السياسية عند ابن حمدون في تذكروته بشكل يؤكد أن المفكرين المسلمين قد استطاعوا أن يضعوا أسساً لنظرية سياسية متكاملة أخذت تواكب تطور الأحداث السياسية التي عاشها العالم الاسلامي آنذاك .

ويرى ابن حمدون في تذكروته أن أصناف السياسة تنتظم بها مصالح الناس على اختلاف طبقاتهم وتنوع حاجاتهم ومتطلباتهم كما أنه يؤكد على حقوق الرعية وما يلزمهم مبيناً ما يلزم على السائس والمسوس .

وتهم هذه الدراسة في المقام الأول بالفكر السياسي عند ابن حمدون الذي يعتبر ممثلاً للفكر السياسي الاسلامي في القرن السادس الهجري ؛ الثاني عشر الميلادي وهو في ذلك يمثل مرحلة متوسطة بين الفكر السياسي الاسلامي في العصور الأولى وبين المرحلة التالية في نهاية العصر العباسي الذي يمثله ابن أبي الربيع صاحب كتاب سلوك الممالك في تبرير الممالك الذي كتبه لآخر خلفاء بني العباس

(١) نفس المصدر السابق . ص ٢٢١ وما بعدها .

(٢) ابن الأثير . الكامل في التاريخ . أحداث عام ٥٦٢ هـ . (٤) العادين . شذرات الذهب ص ٤ ، ص ٢٠٦ .

(٣) ابن الجوزي . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ص ١٠ ،

التذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن حمدون

دراسة وتحقيق وتعليق

دكتور محمد نصر مرينا

مقدمة :

يعالج هذا المخطوط جوانب الفكر السياسى لدى ابن حمدون والذي يمثل قمة الفكر السياسى الاسلامى فى القرن الثانى عشر الميلادى حيث يعتبر مرحلة وسيطة بين الفكر الاسلامى من الحقبة الأولى الى الحقبة الثانية فى نهاية فترة الحكم العباسى والذي يمثله ابن أبى الربيع صاحب كتاب سلوك المالك فى تبرير المالك الذى كتبه للخليفة المستعصم آخر خلفاء بنى العباس ، وتأتى أهميته من أن الاهتمام بالأمور السياسية اقتضى الاستعانة بالقوى الشيعية وهو ما يعتبر الشعرة التى قصمت ظهر البعير وعجلت نهائيا بحكم الدولة العباسية .

ابن حمدون :

محمد بن الحسن بن محمد بن على أبو المعالى بن حمدون عرفه الكتاب بالعلامة والكاتب ومن ألقابه كافى الكفاة وعرف أيضا ببهاء الدين البغدادى .

وينتسب ابن حمدون الى بيت مشهور بالرياسة والفضل فقد اشتهر بالكتابة والده وأخواه أبو نصر وأبو المظفر . أما صاحبنا أبو المعالى فهو المؤلف النفيس المعروف بكتاب التذكرة .

والتذكرة الحمدونية من أحسن التصانيف كما وصفها المعاصرون لابن حمدون يشتمل على التاريخ والأدب والأشعار ويروى ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة أنه وقف عليه وهو فى غاية الحسن .

وقال ابن خلكان أنه أى ابن حمدون توفى ببغداد فى يوم الأربعاء من شهر رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة بخلاف ما ذكرناه من قول أبى المظفر⁽¹⁾ . بينما يقول ابن خلكان فى وفيات أعيانه

(1) ابن خلكان وفيات الأعيان . ترجمة ابن حمدون .